

تمثيلات المرأة في رواية "أم النذور" للروائي عبد الرحمن منيف (دراسة سوسيولوجية أدبية)

م. م. حنين نجم عبد محمد الجامعة العراقية / كلية الإدارة والاقتصاد
Haneen. n. abad@aliraqia. iq

المخلص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة تمثيلات المرأة في رواية أم النذور للروائي عبد الرحمن منيف، من منظور سوسيولوجي أدبي، بوصفها نصاً يعكس البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع العربي، ويعالج قضايا المرأة ضمن سياق سردي يعكس تحولات الوعي الجمعي والأنماط الذهنية المسيطرة؛ وقد انطلقت الدراسة من أنّ منيف لم يصوّر المرأة كشخصية ثانوية أو هامشية، بل أسند إليها أدواراً رمزية ووظيفية تعبّر عن موقعها الاجتماعي والتاريخي، وتكشف عن التناقضات الطبقية والقيمية في المجتمع التقليدي وشبه الحداثي.

اعتمد البحث على المنهج السوسيولوجي للنقد الأدبي، الذي يدمج بين التحليل النصي والتفسير الاجتماعي، وقد تناول البحث مختلف أشكال تمثيل المرأة في الرواية: الأم، العاشقة، الضحية، الراقصة، والفاعلة، كما فحص العلاقة بين البنية السردية وتوزيع الأدوار الجندرية في النص.

وقد خلصت الدراسة إلى أنّ منيف يقدّم صورة مركبة للمرأة، تجمع بين الانكسار والقوة، وبين الامتثال والتمرد، مما يجعل من روايته مرآة للنظام

الاجتماعي ومجالاً لتفكيك خطاب السلطة الذكورية السائدة، وتوصي الدراسة بتوسيع المقاربة السوسيولوجية في تحليل الأدب العربي، بوصفها أداة لفهم البنى الثقافية والسياسية الكامنة خلف التمثيلات السردية. الكلمات المفتاحية: تمثيلات المرأة، الرواية العربية، أم النذور، النقد الاجتماعي، المرأة والمجتمع.

Women and their role in the novel "Umm Al - Nodhur" by the novelist Abdul Rahman _ a sociological study

Abstract:

This research aims to examine the representations of women in the novel "Umm al-Nudhur" (Mother of Vows) by the novelist Abd al-Rahman Munif from a literary sociological perspective. This text reflects the social and cultural structure of Arab society and addresses women's issues within a narrative context that reflects the transformations of collective consciousness and dominant mental patterns. The study proceeds from Munif's not portraying women as secondary or marginal characters, but rather assigning them symbolic and functional roles that express their social and historical position and reveal the class and value contradictions in traditional and semi-modern societies .

The research relied on the sociological approach to literary criticism, which combines textual analysis with social interpretation. The research addressed various forms of women's representation in the novel: mother, lover, victim, rejector, and actor. It also examined the relationship between the narrative structure and the distribution of gender roles in the text. The study concludes that Munif presents a complex image of women, combining brokenness and strength, compliance and rebellion. This makes his novel a mirror of the social order and a space for deconstructing the prevailing male authority discourse. The study recommends expanding the sociological approach to analyzing

Arabic literature as a tool for understanding the cultural and political structures underlying narrative representations .

Keywords: Representations of Women, Arabic Novel, Umm al-Nudhur, Social Criticism, Women and Society .

المقدمة

إن المرأة هي النصف الثاني من المجتمع وبناء الأمة والاعتناء بها فقد كرمها القرآن بسورة كاملة وهي سورة النساء ومن قوله تعالى (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) (سورة النساء، الآية: 34)

وشكل موضوع تمثيلات المرأة في الرواية العربية مجالاً بحثياً غنياً ومعقداً، لما ينطوي عليه من تقاطعات بين الأدب والمجتمع، واللغة والسلطة، والنوع الاجتماعي والخطاب الثقافي. فقد ظلت المرأة، بوصفها كياناً اجتماعياً ورمزياً، محوراً رئيسياً في بناء المتخيل السردي، سواء عبر دورها كأداة رمزية في التعبير عن التحولات، أو كمرآة تعكس التوترات البنيوية داخل المجتمعات العربية، التي ما تزال تتجاوزها ثنائية الحداثة والتقليد. وفي هذا السياق، تحتل رواية أم النذور للروائي عبد الرحمن منيف موقعاً مميزاً، لما تتضمنه من تصوير دقيق وشامل لحياة النساء في مجتمع تقليدي مغلق، تهيمن عليه السلطة الذكورية والتقاليد الاجتماعية القمعية.

إن اختيار أم النذور لا يأتي من فراغ، بل من استقراء واع لتجربة منيف السردية، التي لطالما اتسمت بالحس النقدي العميق، والانتصار للإنسان المهمّش، والاشتباك مع البنى السلطوية التي تنتج أشكال القهر الاجتماعي والسياسي. فقد عُرف منيف بقدرته على تحويل الواقع العربي إلى مادة روائية تحتضن التوترات الكامنة في المجتمع، وتعيد طرح الأسئلة الكبرى

حول السلطة، الحرية، والمكانة الإنسانية. وفي هذه الرواية تحديداً، تصبح المرأة محوراً سردياً يتجلى من خلاله خطاب اجتماعي معقد، لا ينفصل عن السياق السياسي الأوسع، بل يتفاعل معه.

وعبر التمثيلات السردية المتنوعة لشخصيات نسائية متباينة، تساءلت الرواية موقع المرأة داخل أنساق القوة، وتبرز دورها لا بوصفها متلقية للقهر فحسب، بل كفاعل سردي يمتلك صوتاً، ولو خافتاً، في مواجهة تلك الأنظمة. تتخذ هذه الدراسة من الرواية مدخلاً لسبر أعماق التمثيل الاجتماعي للمرأة، معتمدة على المنهج السوسيولوجي الأدبي، الذي يسمح بقراءة النص الروائي بوصفه حقلاً دلاليّاً معبراً عن الصراعات الاجتماعية، لا بمعزل عن جماليات التشكيل الفني، بل في تواشح متكامل بين الشكل والمضمون.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تضع الرواية في قلب النقاش الاجتماعي المتعلق بالهوية الجندرية، فتستجلي كيف تنعكس الأدوار الاجتماعية في بنية السرد، وتُظهر كيف يعيد النص الأدبي إنتاج أو تفكيك الخطابات المهيمنة على المرأة. كما إنّها تفتح أفقاً لفهم أعمق لعلاقة الأدب العربي المعاصر بالمجتمع، وتؤكد أنّ الرواية ليست فقط مرآة للواقع، بل أداة نقدية تسهم في تغييره عبر زحزحة أنساق التفكير والتلقي.

وإنّ هذه المقاربة لا تهدف إلى تقديم حكم أخلاقي على ما تطرحه الرواية من قضايا، بقدر ما تسعى إلى تفكيك بنائها الخطابية وتحليل تمثلاتها، لفهم الديناميات الاجتماعية التي تُعيد إنتاج التهميش أو تتحدى سلطته، ومن خلال هذا الفهم، يمكن تبين كيف تسهم الكتابة الروائية في مساءلة الواقع وكشف المستور من البنى المتخفية خلف الرمز والصور.

أولاً: مشكلة البحث

تشكل صورة المرأة وتمثلاتها في الأدب مرآة تعكس الواقع الاجتماعي والثقافي الذي أنتجها، وتعبّر عن منظومة القيم السائدة، كما تساهم في إعادة إنتاج التصورات المجتمعية حول الأدوار الجندرية، وفي هذا السياق، تبرز رواية أم النذور لعبد الرحمن منيف كنص سردي غني بالدلالات الاجتماعية، حيث تتجلى من خلاله تمثلات متعددة للمرأة، تتراوح بين الإقصاء والتمكين، وبين التقليد والتمرد.

ورغم ما تحظى به أعمال منيف من اهتمام نقدي واسع، فإنّ حضور المرأة في أم النذور لم يُحظَ بالقدر الكافي من الدراسة، لاسيما من زاوية سوسيولوجية تربط بين البنية السردية والبنية الاجتماعية، وتحلل الأدوار والتمثيلات في ضوء السياقات الطبقية والسياسية والثقافية، ومن هنا تنبع مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

- ما هي تمثلات المرأة في رواية أم النذور، وكيف تعكس هذه التمثلات البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الذي تصوره الرواية؟
- هل قدّم عبد الرحمن منيف المرأة كشخصية فاعلة أم كرمز اجتماعي؟ وما الدلالات الكامنة وراء ذلك؟

ثانياً: أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تتناول تمثلات المرأة في رواية أم النذور للروائي عبد الرحمن منيف، الذي يُعد من أبرز الكتاب العرب الذين تناولوا التحولات السياسية والاجتماعية في المجتمعات العربية برؤية نقدية عميقة، ورغم أنّ منيف لم يُعرف ككاتب نسوي بالمعنى الدقيق، إلا أنّ نصوصه، ومنها أم النذور، زاخرة بصور نسائية متعددة، تتفاوت بين

التهميش والحضور الفاعل، بين الرمزية والدلالة الطبقية أو الثقافية، وهو ما يفتح المجال أمام قراءة سوسيولوجية تذهب إلى ما هو أبعد من السطح السردى.

وتأتى أهمية هذا البحث أيضاً من كونه يسعى إلى الكشف عن موقع المرأة في البناء السردى للرواية، ليس بوصفها مجرد شخصية أدبية، بل ككائن اجتماعي تُعكس من خلاله العلاقات والتوترات والقيم التي تحكم الواقع، كما إنّ هذه الدراسة تتيح فهماً أعمق لكيفية اشتغال النص الأدبي كمرآة للواقع الاجتماعى من جهة، وكأداة لإعادة تشكيله أو مساءلته من جهة أخرى.

ثالثاً: سبب اختيار الموضوع

إنّ اختيار رواية أم النذور تحديداً ينبع من خصوصيتها في مسار منيف السردى، إذ تختلف عن أعماله السابقة من حيث الأسلوب والرمزية والشخصيات، وتُظهر بوضوح مجموعة من التمثيلات النسائية التي لم تُدرس بعد دراسة معمقة تُبرز خلفياتها الاجتماعية والدلالية، وقد لاحظت الباحثة إنّ حضور المرأة في هذه الرواية لا يقتصر على الدور التقليدي، بل يتجاوز ذلك ليعكس صراعات داخلية، وتفاعلات مع محيط اجتماعي متغير، يستحق الوقوف عنده من منظور اجتماعي أدبي.

ومن جانب آخر، فإنّ قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت حضور المرأة في رواية أم النذور بشكل خاص، وفي أعمال منيف بشكل عام، دفعتني إلى تناول هذا الموضوع بهدف إثراء المكتبة النقدية العربية، والمساهمة في بناء فهم جديد لدور المرأة في النصوص السردية ذات الطابع السياسى والاجتماعى، باستخدام أدوات تحليل اجتماعية ونقدية حديثة.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو ميلنا للرواية الاجتماعية والقضايا الحساسة التي تؤثر سلباً أويجاباً على المجتمع والبيئة، وظهرت المرأة كمحافظة للتقاليد والمعتقدات الشعبية وبينت الرواية كيف تلعب النساء دوراً محورياً في نقل وحفظ المعتقدات الشعبية، مثل النذور وممارسة الشعوذة، وتأثير هذه الممارسات على حياتهن اليومية. فضلاً عن ذلك بينت الصراعات النفسية والاجتماعية التي تواجهها المرأة في مجتمع تقليدي، مسلط الضوء على تأثير الرجل ومعتقداته عليها وظهرت المرأة كرمز للخضوع لهذه المعتقدات والمعاناة بعض الآخر منها.

رابعاً: هدف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها:

1) تحليل تمثيلات المرأة في رواية أم النذور لعبد الرحمن منيف، من خلال دراسة الشخصيات النسائية في الرواية، وتفكيك رموزها ودلالاتها الاجتماعية والثقافية، بما يسهم في الكشف عن رؤية الكاتب لموقع المرأة في المجتمع العربي.

2) استقصاء الأبعاد الاجتماعية التي تنعكس في تصوير المرأة داخل النص الروائي، وذلك عبر الربط بين البناء السردي والواقع الاجتماعي، وفهم علاقة الأدب بالبنية الثقافية التي تحكم تمثيلات الجندر في المجتمعات العربية.

خامساً: منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج السوسيولوجي الأدبي بوصفه الأداة الأنسب لتحليل النصوص الروائية في ضوء السياقات الاجتماعية والثقافية التي أنتجتها. ويقوم هذا المنهج على مبدأ الربط بين الأدب والواقع، حيث

لا يُنظر إلى الرواية بوصفها مجرد بناء لغوي أو جمالي، بل باعتبارها خطاباً اجتماعياً يعكس، ويفسر، بل ويعيد تشكيل الواقع الذي يكتب عنه. وقد تم توظيف المنهج الاستقرائي لتحليل تمثيلات المرأة في رواية أم النذور لعبد الرحمن منيف، ورصد أدوارها، وعلاقاتها، والرموز التي تحيط بها من خلال صورة المرأة.

سادساً: الدراسات سابقة

شهدت السنوات الأخيرة اهتماماً متزايداً بدراسة تمثيلات المرأة في النصوص الروائية العربية، خاصة من خلال مناهج نقدية حديثة تمزج بين الأدب والعلوم الاجتماعية، مثل النقد النسوي والدراسات الثقافية والاجتماعية، وقد أنجزت عدة دراسات يمكن اعتبارها قريبة من موضوع هذا البحث من حيث تناول أو الإطار التحليلي، نذكر أبرزها:-

(1) دراسة: سفيان والقضاة (2017)، جاءت بعنوان: "قضايا موضوعية في رواية «أم النذور» للروائي عبد الرحمن منيف: دراسة تحليلية نقدية". حيث ركز الباحثان على تحليل البنية الموضوعية للرواية، وتوقفوا عند بعض الشخصيات النسائية، غير أنّ المعالجة ظلت أدبية تحليلية تقليدية، دون الغوص في أبعاد التمثيل الاجتماعي أو الثقافي للمرأة، ومع ذلك، تُعد هذه الدراسة تمهيداً مهماً لما يسعى إليه هذا البحث من قراءة اجتماعية أعمق.

(2) دراسة: الطيب (2020) بعنوان: "الأنثى في الرواية العربية الحديثة: تمثيلات ودلالات" صورة المرأة في أعمال روائية متعددة. وقدمت مقارنة نوعية في تحليل تمثيلات الأنثى في ظل البنى الأبوية والرمزية، مع اعتماد أدوات من النقد النسوي والسوسيولوجي، مما يوفر خلفية نظرية مفيدة لهذا البحث.

3) دراسة: بركات (2015)، بعنوان: "المرأة في الرواية العربية: بين التهميش والتعبير عن الذات".

وقد تبعت الباحثة تطور صورة المرأة في الرواية العربية من منظور تاريخي واجتماعي، مبيّنة كيف تم تشكيل خطاب الجندر عبر الممارسة السردية، الأمر الذي يدعم التحليل في هذا البحث من حيث المرجعية الثقافية والجندرية.

4) دراسة: نبيه (2005) بعنوان: "الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف". وقد تناول الباحث البنية السردية والموضوعات الكبرى في أدب منيف، دون التوسع في تحليل صورة المرأة بشكل خاص، مما يُبرز الفجوة التي يسعى هذا البحث إلى ملئها.

5) دراسة: طالب (2017)، بعنوان: "ثنائية الأرض والإنسان في روايات عبد الرحمن منيف"

تناولت الدراسة حضور البيئة والمكان والهوية في أعمال منيف، لكنها لم تضع تمثيلات المرأة ضمن إطار سوسيولوجي محدد، بل تناولتها بشكل عابر أو ضمني.

بناءً على ما سبق، يتبين أنّ هناك ندرة نسبية في الدراسات التي تعالج صورة المرأة في رواية أم النذور منيف من زاوية سوسيولوجية خالصة، وهو ما يجعل هذا البحث مساهمة أصيلة في الحقل النقدي، ويؤهله لسدّ فراغ معرفي مهم في الدراسات الأدبية العربية.

سابعاً: مفاهيم ومصطلحات البحث

تسعى الباحثة إلى بناء إطار مفاهيمي لأهم المصطلحات الواردة في البحث وهي كالآتي:-

تمثلات المرأة: تشير تمثلات المرأة في الأدب إلى الصور والرموز التي تُجسد المرأة داخل النصوص الروائية، والتي تعكس البنى الاجتماعية والثقافية، والكيفية التي يُنظر بها إلى المرأة من زاوية السلطة، النوع الاجتماعي، والتقاليد المجتمعية، وهي ليست تمثيلات ثابتة، بل متغيرة تعكس التحولات الاجتماعية (بركات، 2015: 45).

الرواية السوسيولوجية: هي النص الأدبي الذي يعكس الظواهر الاجتماعية من خلال سردية تحاكي الواقع الاجتماعي، وتبرز الصراعات الطبقية، والعلاقات الاجتماعية، بما في ذلك موضوعات النوع الاجتماعي والمكانة الاجتماعية للمرأة (نبيه، 2005: 78).

تعريف رواية "أم النذور": هي واحدة من أهم أعمال الروائي العربي السعودي عبد الرحمن منيف (1933-2004)، صدرت الطبعة الأولى عام 2005. تتناول الرواية عبر سردها الحي والصادم حياة مجموعة من النساء في قرية "أم النذور"، لتسلط الضوء على المعاناة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تواجهها المرأة في مجتمع تقليدي يُهيمن عليه الاستبداد والظلم. تتصف الرواية بعمقها الاجتماعي والإنساني، حيث تعكس من خلال شخصياتها المختلفة التداخلات بين الطبقة، الجنس، والهوية، ما يجعلها دراسة نقدية أدبية مركبة تسبر أغوار المجتمع العربي الحديث (سفيان والقضاة، 2017: 12).

المبحث الأول

نظرة عامة عن الرواية (ام النذور) والروائي وسياقها العام أولاً- التعريف برواية (أم النذور)

كثرت الدراسات الحديثة حول الرواية سواء كانت متعلقة بمضمون الرواية أو محتواها الكلي بالأحداث والشخصيات وأسلوب حياتهم أو ما يتعلق بالبنية الفنية المتمثلة بتتبع الشخصيات الأساسية من الثانوية والأحداث الروائية وكذلك اهتمام الباحث في هذه الدراسة في تحديد مفاهيم الحياة ودراساتها دراسة علمية، وقد اقتصر على عملية التحليل والنقد للرواية وحضور المرأة ودورها، وتوسعت دراسات (الباحثين المعاصرين) للروايات والمقارنة بين كلّ أديب وأساليبهم في كتابة أدبهم، وظهور الاختلاف في مجتمعات الأدباء الواقعية ممن ينتمي منهم إلى شعوب وثقافات مختلفة. ويعدّ الكاتب والروائي عبد الرحمن منيف²⁹ مايو 1933م - 24 يناير 2004 - وهو روائي وكاتب من السعودي - من الكتاب العرب والروائيين الذين برزوا بكتابتهم الأدبية عن قضايا المجتمع الديني بشكل لافت والاهتمام أيضاً بالشخصيات الروائية وبأفكارهم في أعماله الأدبية، ويعدّ منيف من الذين أسهموا في وصول الرواية العربية إلى مستوى عالٍ من النضج والبناء الفني، ورفعها إلى مرتبة الرواية العالمية، فضلاً عن أنّه امتلك لغة عربية قوية ممّا جعله يتمكن من دمج ثقافات الدول الأخرى (العالمية) مع ثقافته وأيضاً مع الثقافات القريبة (المحادين، 2006: 1)، من بعض الروايات باللغة العربية الرصينة، وقد فاز عبد الرحمن منيف بعدّة جوائز منها جائزة القاهرة في عام 1998م وذلك بوصفه افضل روائي عربي (المحادين، 2006: 1)

فضلاً عن حصوله على جائزة سلطان بن علي العويس وغيرها من الجوائز اكتسبها عبر السنين التي عاشها في زمنه (القشعمي، 2013: 1-3)؛ (كنايادا، 2009: 418) وأخيراً وفي ضوء ما ذكرناه نجد أنَّ الروائي عبد الرحمن منيف من أهم الكتاب المعاصرين، بل يجتمع في وحدة المرحلة الزمنية التي عاشها في بدايات أربعينات القرن الماضي حتى مطلع الألفية الثالثة، ولكن الفرق هنا أنَّ عبد الرحمن منيف يقيم في العالم العربي، وأسهم في إظهار وقائع المجتمع العربي في الدول العربية، وفضلاً عن ذلك أنَّ روايته تركت أثراً عميقاً في نفوس القراء والمتلقين وأيضاً جذبت اهتمام النقاد والقراء إلى حدٍّ ما، ولذلك نجد عدّة دراسات عن روايته جمعت عدّة قضايا ووقائع اجتماعية ومكانها وأسلوب بناء الرواية وسلسلة أفكارها والكثير من الدراسات، وقد تمكّنّا من كتابة بحثنا عن دور مهم في هذا المجتمع وبروز دورها الفاعل في أغلب روايات العربية وهي المرأة وحضورها في رواية (أم النذور) الذي سيطر العنوان ورمزيتها على الرواية من ناحية أعمالها في الحياة ودورها الكبير في الرواية والخوف الشديد من المستبد عليها، وفي الرواية نجد شخصية الطفل سامح الذي يواجه منذ ملامساته في مرحلته الأولى الحياة والمجتمع، فضلاً عن دور الرجل، وفي ذلك تتعدد وظائف الشخصية في الرواية فقد تكون عنصراً من عناصر المشهد الوصفي، أو الشخصية المشاركة في الأحداث الروائية، وقد تحدّث الروائي عن الشخصيات وعن شخصية سامح ذلك الخوف الذي سيطر على الجميع وجعلهم خاضعين للقوى والأساطير والوهم، تجعلهم عاجزين عن مواجهة الحياة ومن ذلك أمه الخاضعة لوالده، وقد برز دور المرأة بشكل جلي فقد كانت تكتب الرقي وتحضّر الأدوية الممرّة كالعلقم كما وصفها الطفل سامح والمتمثلة بشخصية بالحاجة نعيمة ويستمر بالسرد في الفصل

السادس عشر (منيف، 2005: 202) إلى أن يصل السرد بالنسوة المجتمعات في ذلك المكان مع الحاجة نعيمة (منيف، 2005: 208-209). وكان ذلك لابد من أن تكون الشخصية الرئيسة حاضرة بتميزها ووجودها وعواطفها ونظرتها إلى الآخرين مثل: شخصية الطفل سامح ووالده الذي يرفض أن يدرس في المدرسة وإصراره على أن يدرس في التكية مع الشيخ زكي والشيخ درويش، وكذلك النسوة ودورهم في رواية (أم النذور).

ثانياً- أسلوب الروائي عبد الرحمن منيف - في (أم النذور)

نشرت رواية "أم النذور" للروائي عبد الرحمن منيف، للمرة الأولى في المؤسسة العربية للدراسات والتوزيع (بيروت)، والمركز الثقافي العربي (الدار البيضاء)، عام 2005م، أي: بعد سنة من انتقال الروائي عبد الرحمن منيف إلى جوار ربه، إلا أن تاريخ كتابته لها يعود إلى سنين طويلة عام 1970م، كما ذكرت زوجة الروائي منيف في الصفحات الأخيرة من رواية "أم النذور" جانباً من الصفحة المطوية من الغلاف الأمامي (سعاد منيف) وذلك لأن الرواية تحمل كثيراً من الرمز لـ "أم النذور"، لما لها من دور كبير، وتعدّ من أول أعمال منيف الإبداعية مع أعماله الأخرى منها "الأشجار والاعتقال المرزوق"، و"قصة حبّ المجوسية"، و"حين تركنا الجسر"، و"شرق المتوسط"، وغيرها من الروايات. وقد بلغ عدد صفحات الرواية 224 صفحة متوسطة الطول وبين المطولة وكان مضمونها سبعة عشر فصلاً، ولم تشتمل الرواية على عناوين فرعية وغير ذلك.

وشبّهت رواية "أم النذور" بروايات السيرة الذاتية وقد اكتفى الروائي عبد الرحمن منيف بأسلوب سرد الأحداث من مرحلة طفولته لشخصية (سامح) على شكل سيرة ذاتية كما ذكر (سفيان، والقضاة، 2017م: 186) ولم يعتمد

الباحثون على هذا الكلام بل اعتمدوا على السيرة التي كتبها الكاتب في المدينة عمّان، الدراسة الموسوعة "سوق المدينة" عمّان في الأربعينات، وما يؤكد أنّ المصادر ذكرت أنّ الكاتب عاش وترعرع في عمّان (الأردن) وتلمذ هناك حتى مرحلة الثانوية، أي: جعل حياته تذكّر مع الشخصيات الروائية بل هو مَنْ يلعب الدور مع كلّ الشخصيات كسيرة ذاتية. فوجد الكاتب يصف لنا الموقف نفسه بأسلوب بسيطٍ للشخصية الرئيسة (سامح) الذي يعيش في قريةٍ وتربّى على عاداتها وتقاليدها في رواية "أم النذور" بأنّه طالب من طلاب دار القرآن الكريم قبل أن ينتقل إلى المدرسة النظامية. وإلى جانب ذلك، ذكر الروائي أنّه أصغر إخوته، وتشكل الشخصية عنصراً من عناصر المشهد الوصفي في الروايات الواقعية فكثيراً ما تضم هذه الروايات شخصيات لا دور محدّد لها فتكون أحد عناصر التعبير عن اللون المحلي أو نحت للديكور في الأحداث الروائية. وقد تشكل الشخصية قوة فاعلة في الأحداث إذا مثّلت دوراً أساسياً أو الذات أو المساعد أو الموضوع المعاكس والرغبة، وقد تمثّل بصورة مباشرة وغير مباشرة. (الزيتوني، 2002: 115)، كرواية أم النذور فكثيراً ما تعبّر عن شعبيتهم وحياتهم الممزوجة بنوع من تخلف المجتمعات في ذلك المكان ممّا جعل أحداثها شيقة ومتسلسلة في متابعة سير الأحداث وبروز دور كلّ شخصية، ولطالما عبد الرحمن منيف لفت النظر في أسلوب الكتابة الأحداث إلى غياب التراكم الثقافي في مجتمعاتنا، إلا أنّ بروز رواياته جعل لها مكانة في نفس كلّ مَنْ يقرأ رواياته وأيضاً حفلت رواية "أم النذور" بكثيرٍ من الأحداث لأنّها شبّهت برواية سيرة ذاتية، وكذلك الرواية حفلت بدراسات كثيرة وتطّرت لكثيرٍ من الموضوعات المهمة في الحياة الاجتماعية والقضايا المهمة في حياة الشخصيات، ونذكر اليوم في موضوع بحثنا -وكما تطرّقنا

سابقًا- موضوعًا مهمًا وحساسًا في الحياة الاجتماعية وله دور كبير وفاعل في بناء المجتمع وقيامه وتقويمه في قيام ابنائه وهي المرأة ودورها البارز والمشاركة في أحداث الرواية، وكما ذكرت زوجه، التي بعد أن أعلنت في تقدّمها القصير في الرواية، بأنها ليست سيرته الذاتية وإنّ تداخلت بعض الصور والروى وبالأخص بحياة الكاتب (سفيان، والقضاة، 2017م: 186).

وانطلاقًا من ذلك أصبحت الدراسات الحديثة توظف كلّ المعارف العلمية في مجال البحث والدراسة والكشف عن أهم إشكالات البحث ومفاهيمه، وبذلك باتت دراستنا تعتمد على مستوى من التحليل الوصفي واستعمال المصطلحات العلمية الذي يقود إلى استنطاق الحقائق الاجتماعية والثقافية وكذلك عدم التسليم بالمظاهر الخارجية للوقائع الاجتماعية في الدراسة، وإنّ غايتنا الأساسية المركزة لهذا البحث هو ظهور المعنى الكامن ورائها والكشف عن دور المرأة اجتماعيًا وثقافيًا مثل: الدين، واللغة، والشخصية وغيرها... وهي معانٍ وردت في الأعمال الحديثة وقد سعى إليها كثير من الباحثين للتوسع في الدراسة وبيان دور المرأة مقارنة بالرجل في المجتمع بعيدًا عن تكلف. ومن الفوارق الكبيرة بين كتابات الأدباء والمفكرين الاجتماعيين العرب التي صدرت بالعربية وبين المفكرين الغرب أنّهم سعوا إلى إثبات ذلك -كما قال الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو- بجهودهم الفكرية بوساطة الدراسات الحديثة، إذ قال: (حتى نفهم حقيقة السلوك الإنساني لابدّ من الاهتمام بدوافع هذا السلوك أي بمعنى الحفر والتنقيب في أغوار الحياة البشرية) (أحمد، 2020: 287).

يتضمن هذا النص من هذا المبحث قراءة تحليلية لأهم دراسات السوسيولوجية المعاصرة التي تناولت هذه المحاضرة مسألة الرمز والمعاني التي تختفي وراء الوقائع الاجتماعية والثقافية، الذي يتجه نحو تفكيك

الحقل الرمزي الخاصة بهذه الرموز ومعانيه ومعتقداته التي ارتبطت بأنساق اجتماعية مختلفة كالدين واللغة والسلطة والسياسة وغيرها (الزيتوني، 2002)

ثالثاً- دور المرأة في الرواية:

تعددت صور المرأة في الرواية لكنها لم تخرج عن صورة الأم، والأخت والابنة ضمن حدود البيت العربي ومن جهة أخرى تأرجحت بين الواقع والرمز فمن الناحية الواقعية تبقى المرأة في الرواية تمثل صورة واحدة، إنها تمثل الطمأنينة للرجل ولوالدها وبيتها وعنصر مثقف في المجتمع على حد سواء.

إلا أن عبد الرحمن منيف لم يعط المرأة الدور الرئيس أو البطولة، ولكنه اهتم أن تكون ذات فاعلية وذات تأثير ولها حضور قوي، قال الياس نخلة: "الحياة هي المرأة ولا يمكن للرجل أن ينسى المرأة إلا وهو يغادر الحياة". وهناك من نظر إليها ورآها أنها قيمة للشر والخير، وعدّها الآخرون رمزاً لنهضة المجتمع فهي ترمز إلى حالة السقوط والانحيار الذي يعاني منه المجتمع فسقوطها الأخلاقي يسقط المجتمع وبتطورها تعدّ مصدراً للخير، (طالب، 2017: 7).

ولا يخفى على أحد أن المرأة العربية أدت دوراً مهماً في إثراء الأدب العربي ولا سيما في فنّ القصة والرواية أولاً. ويثبت التاريخ أن المرأة قد واجهت مشاكل كثيرة وتحديات عظيمة في دخول مسيرة الأدب مثل الرجل. وكذلك نضيف لما نحلل أسباباً وراء تخلف المرأة في مجال الأدب العربي فنجد عوامل كثيرة بما فيها حرمانها من التعليم والثقافة بسبب عراقيل اجتماعية والأفكار السلبية السائدة في المجتمع أولاً وكلّ هذا ما يخلف المجتمع من اضطهاد ضد المرأة ثانياً. وبينما تناولت الروايات

العربية دراسة قضايا المرأة (بالأنا) وبعدها النصي المختلف، منها النفسي والثقافي، وبطرق فنية تكشف صوراً عديدة لها ومشاركتها المعبرة عن تعايشها في هذا المجتمع المعبر عن قضايا وسمات حضارية اجتماعية دينية. فضلاً عما تعيشه المرأة في مجتمعاتٍ سادت فيها العادات والتقاليد التي يمارس الإنسان فيها من شعوذةٍ وعنف بمساعدة المرأة والرجل وقيامه بتدريس الأطفال وتعليمهم على حساب ما يعيشونه ويفكرون به كما جاء في رواية "أم الذنور" (سواعد، 2010: 95). ممّا هيئ الظروف لبداية رحلة المرأة العربية لتمارس حياتها على وفق الديانات والمعتقدات الاجتماعية السائدة.

وذكر منها الروائي منيف عن المرأة في كتابته مع الروائي جبرا إبراهيم جبرا، وهي رواية "عالم بلا خرائط" (جبرا، ومنيف، 1992: 383). التي تتكلم عن القضايا الاجتماعية الإنسانية معتبرة أنّ هذه الرواية امرأة حملت من رجلين، فخرج العمل الروائي، فلا عبد الرحمن منيف يعدّ والده شرعياً ولا جبرا.. لذا صبّ الروائي منيف اهتمامه بكتابات عن المرأة والحبّ وتسلطها؛ لأنّها من أساسيات الحياة الإنسانية والاجتماعية وغيرهما وكذلك كان اهتمام الروائي في هذا القسم من أولوياته في كتابات عديدة بسرد القصص والأحداث المتنوعة.

وانطلاقاً من هذا الدراسة التي تعدّ قضية المرأة في الرواية نتاج تفكير المجتمعات، ولها قدرة كافية على جعل الباحث يعتمد على استنتاج ووصف وتحليل، وكذلك تعبّر الرواية عن المجتمع وصراعاته، فكلّ شخصيةٍ روائيةٍ لها إيديولوجية معيّنة وفكرة يراود إيصالها للقارئ، وكذا القضايا الاجتماعية، وهي تحاول الكشف عن الحالة النفسية للأشخاص من المواقف الاجتماعية المختلفة، فالكاتب يبدع في كتابه سيرته ويخفي شخصياته وراء الأحداث مما يجعل قراءة الرواية شيقة في سرد ومتابعة في

ترتيب الأحداث، فالرواية من عناصر الرواية لا تعدّ رواية بل سرد وقصة فقط، فضلاً عن أنّ هذا الأخير يسهم في إبراز الجانب النفسي والثقافي والاجتماعي لكاتب النصّ الروائي.

المبحث الثاني

تحليل نصوص الرواية أم النذور

أولاً: تمثيلات المرأة في رواية "أم النذور".

الراوي أهل بيئته ومجتمعه، يتفاعل مع كلّ الأحداث ومع كلّ ما يحدث له وفيه، والمرأة أحد مكونات هذا المجتمع وهذه البيئة. ومن الطبيعي أن تحتلّ أهمية ومساحة كبيرة في الأعمال الروائية، فقضية المرأة تضاربت فيها بعض الآراء فهناك مَنْ انتصر لأجلها وجعلها شريكة مع الرجل، فهي تعدّ من أهم الموضوعات المطروحة وهي قضية برزت قديماً وحديثاً وتظلّ مشاركة في كلّ القضايا الاجتماعية والثقافية والفكرية والدينية والسياسية، وهناك مَنْ خالف هذا الرأي فجعلها ملتزمة فقط في الزواج والإنجاب والبيت. وهناك بعض العلماء من درس مزيتها وأعطاهم حقّها في الحقوق والواجبات.

1- دلالة عنوان "أم النذور"

جاء عنوان أم النذور في بعض المعاجم "الأم: أصل الشيء. وهي الوالدة. وتطلق أيضاً على الجدّة. ويقال إنّها الحواء أم البشر (الأم الحضنة)، والشيء الذي يتبعه وما يليه. أمّات أو أمهات. ويقال هو من أمهات الخير أي من أصله ومعدنه" (عبد الجبار، 2010: 27). ويقول نذّر الشيء نذراً ونذوراً: واجبه على نفسه. وهناك بعض التفسيرات ثابتة يقال عنها: نذر ماله لله، ونذر على نفسه أن يفعل كذا. والنذر: ما يقدمه المرء لربه، أو يوجهه

على نفسه من صدقةٍ أو عبادةٍ أو نحوهما. ج) نذور" (إبراهيم وآخرون، د. ت: 912) ويتكون العنوان من مكونين هما: "أم" مكون فاعل فهي مؤنثة (شيئي)، "النذور" فهي مكون شيء أو حدث. وأخيرًا "أم النذور" اسم أطلق على شجرة "مباركة" أو مقدسة..

في حين عرف الأنثروبولوجي إرفين قوفمان الرموز الثقافية بأنها تعابير يستنبطها من حياته اليومية أو من أعضائه الجسمية وفيها رمزية وتفاعلية بين المجموعات البشرية (Goffman, 2008) وتمارس هذه الرموز ضغوطها على الفرد وتحدّد اختياراته فلا يستطيع الانفصال عن بيئته بل يقبل غيرها من العوامل المادية والاقتصادية والاجتماعية والقيم والمعايير التي تحظى بقبولٍ عامٍ، فتارة تراهم (الأفراد) يحرصون على اتباع معايير تتماشى ومعتقداتهم حتى يحافظوا على توازنهم الروحي باتباعهم لرموز ثقافية في حسابهم (العربي، 2008: 102)، وذلك يبرز من دلالة العنوان.

وفي هذه الرواية تكثر الإشارات والدلالات المتنوعة على العنوان بوضوح، وقد ذُكر في بعض النصوص الروائية دور المرأة برمزية الشجرة "لأم النذور" كما دلّ في النحو على تأنيث الشجرة وهي علامة التأنيث الأكثر ورودًا في الأسماء والصفات. وفي الرواية دلالة (الشجرة) اسم مؤنث أي: بما تسمّى "بأم النذور" أي: برمزيته المطلقة ودورها في الحياة وبيئة هذا المجتمع.

وتُعرف على أنها أشجار الدلب ("هنا الناس يتعرفون باسم (شجرة الدلب) لكن بالمقابل كانوا يلقبونها بأسماءٍ غيرها أي بأسماء وألقاب كثيرة على اسمها الأصلي. كرمزية "جارات أم النذور" و"الأخوات السبع") (منيف، 2005م: 5-6). وأما "أم النذور" بوصفها عنوان الرواية كما موضح في النصّ الروائي فهو "اسم أطلق على الشجرة المقدسة، في منطقة حي

الشيخ مجيب التي لقت بعدة ألقاب؛ لأن النساء والأهالي يوفون بنذورهم التي قطعوها على أنفسهم تحت ظلّاتها.

وكذلك أن الكاتب في النصّ الروائي شبّه هذه الشجرة وجذورها وتفرعاتها بعروق يد المرأة المسنة إذ قال: ("قبل أن يدخل النهر المدينة، من جهة الغرب، يتفرع وينقسم، ترى الفروع صغيرة مخضرة متشابكة، وبعض الأحيان متقاطعة، تمامًا مثل العروق في يد نحيفة مسنة) (منيف، 2005م: 7). وجاء الروائي في هذا النصّ بتشبيه فروع هذه الشجرة بالمرأة المسنة.

وذكر الراوي بوصف الشجرة ودور النساء تجاه هذه الشجرة فقال: (كانت أشجار الدلب "وأم النذور" في الحي مثل الشمس موجودة منذ وقت لا يدركها أحد. وقد أقام الناس بينهم وبينها من صلات ما جعلها جزءاً من حياتهم. فالمرضى يحملون إلى جانب هذه الأشجار، والنساء اللواتي يردن أطفالاً يذبحن هناك الديوك، والعجائز المسنّات يسفحن على جذور أم النذور أنواعاً من المياه الممزوجة بالحشائش المغلية والمسايق، طلباً لحماية الأبناء واستمرار مودتهم) (منيف، 2005م: 7). وهذه هي الشجرة المباركة، أو كما يسمّيها بعض الناس كارهين لهذه الشجرة "أم الخرق".

وكذلك جاء هنا أن دور المرأة في ذلك العنوان الموازي لأم النذور.. أن النساء والأهالي يوفون بنذورهم بعد أن قطعوها على نفوسهم تحت ظلّها فهي الأم الحاضنة لأفراد تلك المنطقة (شيخ مجيب) وناسها والشاهدة عليها (عبد الجبار، 2010: 109).

وهنا البعد في هذا النصّ كان واضحاً؛ لأنّ الطبيعة موجودة بغضّ النظر عن حياة الناس لكن مع مرور الوقت اتخذها الناس ذريعة للحياة وعاداتهم وطقوسهم الدينية والاجتماعية ومآساتهم الاجتماعية. ممّا ظهرت الشخصية الروائية ملونة بأفكارهم، ولا شك أن الأشجار تدخل في نفوس الناس وتغيّر

مزاجهم ولكن هناك مَنْ يجعلها ذريعة وحبّة لأفكارهم ويجعل الخوف له مكاناً كبيراً في النفس، ومن هنا ظهرت المرأة وجعل لها مكانة ودور كبير في نفس القارئ في هذا النص، قال الراوي:

(فالمرضى يحملون إلى جانب هذه الأشجار، والنساء يردن أطفالاً يذبّح هناك الديوك، والعجائز المسنّات يسفحن على الجذور "أم النذور" انواعاً من المياه الممزوجة بالحشائش المغلية والمساحيق، طلباً لحماية الأبناء واستمرار مودتهم) (منيف، 2005: 7). بممارستهن للسحر وتعاملهن بالندر لحماية أطفالهن واستمرار المحبة بين الشخصيات، وهناك كثير من المواقف التي تظهر دور المرأة الفاعل، وإن لم يكن بشكل رئيس.. ولكنها حاضرة في العمل الروائي.

ومن ذلك نرى الروائي منيف قدّم سيرته من الصفحات الأولى للرواية إلى نهايتها، والعادات السائدة في حي الشيخ التي تنطلق في بركات الشجرة المقدسة "أم النذور" والنساء أهل هذا المجتمع وأحاديث (الشيخ مجيب) وبركاته المقدسة وصلواته الذي كان يلبي كل آماني وحاجات الناس المقدّمة إليه، وكذلك من خلال قراءة الرواية وصف لنا الروائي منيف إلى أي مدى يعتمد المجتمع ونسائه ورجاله ولكن كان جزء الأكبر من هذا البحث دور المرأة "أم النذور" على هذه البركات موضعاً كلاً منها ومواقف كلّ شخصية عبر صفحات كبيرة من الرواية، وكذلك هي موطئ قدم لهم ومحط ثقتهم وإحساسهم الكبير تجاهها بأنهم لا يقدرّون العيش من دونها، وكأنّها جزء من حياتهم اليومية، قال: (كيف ستكون الحياة إذا أصبحنا ذات يوم.. ولم نجد الحاج الدرويش؟ أيّ ولي جديد يمكن تخلفه الحياة لكي يقف إلى جانب الشيخ مجيب و"أم النذور"؟) (منيف، 2005م: 18). وأخيراً لا حياة بعد هذه الشجرة المقدسة.

وهنا النصّ يتحدث عن امرأة أحد الأسر البسيطة وكيف تعاملت مع هذه الشجرة وكيف اتخذتها كشيء مبارك في حياتها وولادة ابنائها.. (وأم حسن ولدت ولدين بعد سبع بناتٍ بعد أن أخلصت نيتها للشيخ وبركاته وقدّمت النذر) (منيف، 2005: 13).

(وفي بعض الأوقات تنتهي هذه القصص بالأدعية والندور... ولا تظهر التكية وأم الندور، تبدو بركاتهما في الوقت الحاضر، إلا إذا اضيف اليهما الحاج درويش) (منيف، 2005: 14).

وجاء عنوان الرواية منيف وسمّيت بـ"أم الندور" فهي الشجرة العريقة، لا يتجاوز طولها إنساناً قصير القامة وهي مغروسة منذ مئات السنين قرب تكية الشيخ مجيب، وسمّيت بـ"أم الندور"؛ (لأنَّ شخصاً إذا نذر نذرًا وتمنّى شيئاً يتوجّه إليها ويعلّق عليها قطعة قماشٍ (الخرقة) من ملابسه أو طربوشاً وغيرها وذلك طلباً من قداسة (بركات) الشيخ وأيضاً جاء النص الروائي من سيدة مسنة من بركات (الحاجة نعيمة) (منيف، 2005: 208) التي تكتب الرقي وتحضّر الأدوية المرّة كالعلقم وغيرها من القصص والسير الذاتية التي عاشت تحت بركات بعض الشخصيات "أم الندور"، وكان للمرأة أو "أم الندور" حضور على طول الرواية في ممارسة هذه العادات إذ جعلت لنفسها مساحة كبيرة من الرواية، والتعبير عن الشجرة المباركة مبنٍ على اعتقاد الناس في ذلك المجتمع في إنها قادرة على تلبية أمنياتهم وتحقيقها، وانطلاقاً من هذا العنوان بدأت حياة هذا المجتمع يعتمد عليها ويعلّق كلّ آماله للتخلص من همومه وأحزانه ومعاناته اليومية.

ونظراً لما ذكر في النصوص من دور المرأة في تلك المعتقدات السائدة في المنطقة، أخذ بعض الشخصيات ومن هذه الشخصيات (سامح) يخطو

مثل المرأة أي أهل قريته في إزالة ما يمرّ به من همومٍ ويقتدي بهم نحو إزالة الغيوم.

وهنا جاء الوصف في هذا النصّ، كيف تعاملت نساء ذلك المجتمع ودورهن في اللجوء تحت ظلّ تلك العادات وتلك الشجرة المباركة على لسان الراوي إذ قال: (أم حسن ولدت ولدين بعد سبع سنواتٍ عندما أخلصت نيتها لشيخٍ وقدمت النذر، وفاطمة خرساء أصبحت تنطق ببعض الكلمات وتفهم ما يقال لها كلّ ما يقال لها منذ أن أكلت لحم الهدهد الذي أعطته لها الحاجة نعيمة وبعد أن بيته ليلة كاملة عند أم النذور) (منيف، 2005: 13) كما ذكر سابقاً.

وكذلك نلاحظ بعض الحوارات التي جرت بين بعض النسوة ودورهن في ممارسة العادات (السحر) بطلبهن من ابنائهن ربط الخرق على تلك الشجرة المباركة وكذلك حماية الابناء من العين والحسد وغيرها من الأمور الغيبية التي يتشبث بها أفراد هذا المجتمع. ومن تلك الحوارات التي جرت بين (الحاجة نعيمة) والمرأة التي استمرت عدّة صفحاتٍ في رواية (ذهبت إليها قالت لها الحاجة إنها تكلف كثيراً... وردّت المرأة دون أن تفكر: الذي تريدينه يا حاجة، أنت بنت أسيادنا، والذي تأمرين به على العين والرأس!) (منيف، 2005: 210).

ومن هنا برز دور المرأة في البيت أي: الأسرة والسلطة الزوجية، ظهرت هذه الصورة في الرواية بشكلٍ غير مباشرٍ أي: ذكرت في عدّة مواضع في صفحات الرواية، "وتمثّل الأسرة نواة المجتمع الأساسية، إذا فسدت فسد المجتمع وإذا نجحت نجح المجتمع، ولهذا يجب أن توضع قوانين لتحديد المسار السليم للأسرة لتضمن نجاحها، وكان نظام الأسرة

الأبوية سائداً في المجتمعات العربية، فالأب هو رأس الأسرة ورب البيت" (مريم، وجميلة، 2018: 46) (الطائي، 2007: 28).

وكان حضورها لا يذكر ونرى ذلك بعد قراءة نصوص الرواية بأن شخصية (أم سامح) انقادت لزوجها بكل طوعية لأمر (الحاج حسيب) في كل أمور المنزل إلى أن أصبحت لا تمتلك أي قرار بشأن بيتها أو الأسرة، وحده زوجها (الحاج حسيب) من يمتلك حق القرار دون الأخذ برأي زوجه أو حتى ابنه حتى أصبح هو من يحدد مصير ابنه (ماجد) و(سامي) دون زوجه (أم سامح) كما مبين في النص هنا جاء الحوار بين أم سامح وعمته:

- "كلهم مع أبيهم... يعملون في الدكان؟

- أبو ماجد هذا رأيه... والرأي رأيه!" (منيف، 2005، 84).

وكذلك برز حوار آخر بين (أم سامح) وخاله والذي يصور استبداد (الحاج حسيب) وقالت أمه: (يا أخي، قلت للحاج مائة مرة، لكن يصبر على أن الكتاب أحسن، يقول إن أباه وجدّه لم يعرفوا سوى الكتاب. وإن الأولاد مصيرهم أن يعملوا نفس الصنعة. المدرسة مضيعة للوقت. هذا رأيه!) (منيف، 2005: 167)، وبعدها انتهى الحوار سمعت (أم سامح) مبررات زوجها من خاله قائلة: (تريد تغير الحاج؟ هذا مستحيل! أنا لا أعرف هذا رأيه... ليس لي علاقة، كل شيء بيده... (منيف، 2005: 167)، هنا دور المرأة ملغي تماماً من أي مسؤولية لا حكم ولا قرار عليهم ولا على أهل بيتها وما زال الصراع بين الرجل والمرأة في اتخاذ قرارات سواء كانت في البيت أو خارجه.

ويستمر السرد الذي على لسان الطفل (سامح) ودور المرأة لزوجها، عرض الراوي بعض التفاصيل والمشاهد بما يشبه الحفلة التي تعد للزوج:

(تسارع أمي لتخلع عنه سترته.. يعطيها ظهره ويداه ممدودتان... ثم يجلس على طرف الفراش ورجلاه على الأرض وتركض أختي (سارة) لتنزح له حذاءه. أما (وجدان) فإنها تحضر الإبريق والطشت، (رضية) تحمل المنشفة وتصبّ على يديه الماء...، (منيف، 2005م: 186).

وفي هذه الرواية، يقدم منيف رؤية نقدية للمجتمع التقليدي، مسلطاً الضوء على دور المرأة المحوري في مواجهة التحديات والتغيرات، وكيفية تعاملها مع المعتقدات والتقاليد التي تشكل حياتها اليومية. ولا يمكننا التغاضي عن تنشئة المرأة تنشئة قديمة إما أن يجعلها خاضعة أو متمردة.. وأصبح الرجل مَنْ يتفرد بتلك الصفات أيضاً وعلى الأوضاع الاجتماعية المختلفة المفروضة على كلا الجنسين بحكم المعتقدات والعادات والتقاليد. لا ينسى تحليل شخصية المرأة، إذ (إن منيف لم يعطِ المرأة دور البطولة في رواياته، ولكنه اهتم أن تكون ذات فعالية وتأثير وحضور قوي في رواياته) (نبيه، 2005: 287).

ومن هذا المنطلق وكما ذكر في النصوص التي كانت تحمل تلك الصور الروائية من مشاعر سلبية تجاه تلك الشجرة برزت من موقف الشخصيات الروائية ولاسيما الرجل مقارنةً بالمرأة وحضورها الجلي وممارستهم لمعتقداتهم التي نقلت عن واقع معيشتهم في الرواية في أدق تفاصيل الصورة وفي وصف الحالة النفسية للمرأة، وتمرد الطفل (سامح) ورفضه لما يعيشه من واقع معنّف وهش مليء بخيبة الأمل على ما كان يتأمل في تحقيقه للأمني وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ الكاتب استطاع أن يذكر حال ذات الشخصية بتفاصيلها وتقمص دور الشخصية الرئيسة بشكلٍ لافتٍ، وفضلاً عن ذلك تمكن الكاتب عبد الرحمن منيف من وصف بعض الشخصيات الروائية وصفاً عميقاً كالمرأة وحضورها في

إحداث الرواية فاندفعت الشخصية اندفاعاً بسيطاً في أحداث الرواية وما تعيشه من طبيعة الأحداث من دون تصنع أو تكلف أو افتعال في تصوير الأحداث الروائية.

ثالثاً: العلاقات بين الشخصيات الروائية بـ(أم النذور)

تعد الشخصيات الرواية عنصراً أساسياً من عناصر بناء النص السردي، فلا تكون مستقلة فاستقلالية الشخصيات بعضها عن بعض تخلق توقفاً في السرد، ويؤدي ذلك إلى انتقاء الحدث السردي. حيث أنّ العلاقات بين الشخصيات الروائية تؤدي "دوراً أساسياً بالنسبة لبنية العمل الأدبي" (<https://cohe.uokerbala.edu.iq/wp>)

فالراوي أو الكاتب هو من ينتج شخصياته الروائية - أي شخصياته الورقية والمنهجية - ويقدمها عن طريق بنائه. كذلك يرمي من وراء ذلك إلى تقديم رؤيته للعالم الذي يعيش فيه عن طريق خلق هذا العالم - وهو (العالم الروائي) (<https://cohe.uokerbala.edu.iq/wp>) كما يتصوره أو يتخيل أن يراه أو لما يراه على وفق موقفه منه، ومن ثمّ يخلق علاقات الشخصيات بعضها ببعض على وفق هذه الرؤية.

وبما أنّ التصور الجديد للشخصية القائم على الوظيفة التي تؤديها، وبأنّها (ذاتٌ فعّالة)، وعليه فإنّ هذه الوظيفة تتطلب علاقات بين الشخصيات لتحقيق دينامية النص أي حراكه.

وتُعد أبحاث بروب (موروفولوجيا الحكاية الخرافية) هي الحجر الأساس في دراسة الشخصية الروائية من منظور جديد غير ما كانت عليه، فقد أصبحت عنصراً بنائياً.

إنّ أهمية علاقات الشخصيات الروائية تشكل بعداً مهماً في الكشف عن خصائصها، ومكوناتها البنائية والحسية، كما تفصح عن تضاريس

وتصورات الشخصية عن الآخر ومدى تأثيره عن الآخر، والجدلية المفترزة نتيجة قيام تلك العلاقات التي تلتقي بسمات الشخصية ثم نوعيتها داخل إطار المحكي من جهة، ودورها من جهة ثانية.

إنّ أي شخصية لكي تكون فاعلة - أي تقوم بوظيفة ما - لها مؤهلات تؤهلها للقيام بهذه الوظيفة أو العمل الروائي، فالبطل لا يكون بطلاً ما لم تكن له مؤهلات تؤهله لحصوله على موضوع ما؛ ليكون من خلاله بطلاً. ومن ثم فإنّ الكشف عن هذه المؤهلات يأتي عن طريق: 1- علاقاتها بالشخصيات من جهة، 2- وبالحوادث من جهة ثانية. فهناك "تصنيفان شائعان للشخصية هما: التصنيف الشكلي الذي يركز على مهمة الشخصية في النص السردي وعلاقاتها الشكلية الخالصة بالشخصيات الأخرى، والتصنيف المضموني الذي يعتمد على الصلة الوثيقة بين الشخصيات والحوادث (<https://cohe.uokerbala.edu.iq/wp>)

يحلّل الشخصيات الروائية، ويقسمها على نوعين: الشخصيات "نموذج الرجل" والثاني من الشخصيات النموذجية "نموذج المرأة"، ثم يوضح العلاقة بين الشخصيات الروائية "فرواية أم النذور تكثر فيها الشخصيات النموذجية بمشاركتها في الأحداث والقضايا الاجتماعية (سفيان، والقضاة، 2017)، ووردت في الرواية على مدى صفحاتها أدوار النساء التي تمثّل فيها المستويات... التي يتكون منها المجتمع، وإنّ العلاقة بين "أم النذور" وبين شخصيات الرواية عند الروائي عبد الرحمن منيف (كشجرة مقدسة) يتبارك بها الجميع، وتعريف هذه الشجرة "تعبّر عن القوة التي تدفع الضرر عن الناس وأهل ذلك المجتمع حتى قالوا عن هذه الأشجار: ("إنّ بين هذه الأشجار والجن إخوة") (منيف، 2005: 6).

وإنّ علاقة هنا في هذا النص تبدأ من كره الشخصية (الطفل سامح) لتلك الشجرة ودورها في إزالة الهموم والغموم ودور النسوة أيضًا وكرهه لوالديه، وتعدّ معظم الشخصيات أنّ العيش من دونها صعب، بقول الشخصية (سامح) على لسان الراوي: (وتوقفت نظراته على أم النذور. بدت له قبيحة لدرجة شعر أنّه كان يكرهها إنّها بقايا خرق قدرة ولا شيء غير ذلك. وسأل نفسه بلهجة ساخرة: هل كانت هذه مزبلة الشجرة في يوم من الأيام؟ أين هي الأوراق الخضراء؟ أين الثمار التي تتحدث عنها أمه؟) (منيف، 2005، 134)، ويرجع الراوي أيضًا عن طريق شخصية (سامح) وعلاقته بهذه الشجرة وفكر سامح أن يتخلص حتى من والديه ويقول: (في أم النذور، وانتابه الحزن، أين الخرقه وماذا فعلت؟ أستطيع أن أتخلص من أبي وأمي. من أم النذور القبيحة الجرباء... قال لنفسه: لماذا لا يضع اليماني خرقه على أم النذور) (منيف، 2005، 134)، وفكر (سامح) أن يتخلص من والديه وذلك لأنّ الكاتب صوّر النص أنّ أيّ فردٍ من أفراد العائلة إذا أصابه مرض أو أحسّ بهمّ وغمّ تسرع أفراد العائلة مباشرةً ومن دون تفكيرٍ إلى تعليق أو ربط الخرق عليها ومقدمين النذر ومتمنين الشفاء العاجل منها للمريض وإزالة الهموم والكرب وإعانة المرأة العاقر على الولادة وحلّ المشاكل الأسرية وغيرها، كما جاء السرد على لسان الراوي العليم (سامح) الشخصية التي طغت على أحداث الرواية وجاءت الأحداث بوصف المرأة (الحاجة نعيمة) (منيف، 2005: 208-218) الذي يستمر ما يقارب فصل كامل لها ودورها الرئيس في ذلك.

لقد أدّت "أم النذور" دور الأم الحاضنة التي تحمي أبناءها، وكذلك لم يقل دور المرأة عن دور الرجل في ذلك، وكان يتمثل دور المرأة في موضوعين يتصل أحدهما بالآخر الأول يتمثل بالحياة الخاصة في (المنزل)،

والثاني يتصل بحياة العامة في المجتمع، فالمرأة من جانبٍ آخر هي أمّ وزوج فهي رفيقة الرجل في الحياة ومساندته في بعض أعماله (بوعكاز، وجميلة، 2018م: 17).

وكذلك وصف علاقة الشخصيات بتلك الشجرة علاقة عاداتٍ وتقاليد ومن دونها لا حياة وكانوا يعتقدون أنّ ثمار تلك الأشجار تشفي من الأمراض قال الراوي: (وهذه الثمار تشفي الأمراض وتعيد المسافرين وتكشف المسروقات، وكلّ امرأة صارت تنسم رائحة أمّ النذور، وتغمض عينيها وتتمنى ما تريد، حتى أصبحت في نظر أهل القرية مثل إله يتسم بطيبة) (منيف، 2005: 13-14)، وأصبحت هذه كعلاقة الأمّ بابنها تتسم بالتعامل الديني وممارسة حياتهم من دونها عدم.

والنص الآتي يشهد على ذلك (كيف ستكون الحياة إذا أصبحنا ذات يوم ولم نجد حاج درويش؟ أي ولي جديد يمكن أن تخلقه الحياة لكي يقف إلى جانب الشيخ مجيب وأمّ النذور) (منيف، 2005: 8).

وكذلك ذكر في العديد من صفحات رواية "الشجرة الدلب" وما يعبر عنها وعلاقتها بهذه الشجرة وبين الشيخ مجيب والتكية علاقة اجتماعية تربطهم بقضايا مختلفة، وورد في كثيرٍ من النصوص بعض الشروح والتفاصيل حول الشيخ مجيب وأسماء الأشجار إلى أن تصل بنصوص ذات أبعادٍ نفسيةٍ مختلفةٍ، (إلى إعادة تشكيل إدراك من خلال قراءة النص وإيجاد صور لهذا النص وأفكار جديدة لها فكأنّه لا يستبعد الصور والأفكار والمدركات القديمة وما إليها، بل ينشأ إنشاءً جديدًا مبدعًا) (طه وآخرون، د. ت: 133).

وقد صوّر الكاتب منيف أيضًا البعد في هذا النص ومدى اعتماد المجتمع في منطقة حي الشيخ مجيب على هذه الشجرة "أمّ النذور" بكثرة

الخرق المعلقة عليها. وإذا المجتمع أصيب بمرضٍ أو أحسَّ بهمومٍ، فيبادر إلى ربط الخرق بتلك الشجرة و متمنياً أن يشفى من المرض وتزول الهموم، ومن ذلك ذكر الكاتب في نصّ على لسان الراوي (عدد الخرق على الشجرة لا يستطيع أن يعدّها أحد، شعر أن حزناً يعصر قلبه، وشعر أن حزناً يولد في نفسه سؤالاً غامضاً: إنَّ هموم الناس في حي الشيخ مجيب كثيرة... ولكن لماذا وصلت إلى هذه الدرجة؟).

فضلاً عن ذلك، تُظهر الرواية كيف تستعمل المعتقدات الشعبية، وعلاقتهم بتلك العادات والتي ظهرت في رواية "أم النذور"، كوسيلة للمرأة للتعبير عن آمالها ومخاوفها، وكيف تؤثر تلك الممارسات على حياتهم اليومية وعلى الطفل خاصة مما يجعلهم ذوو علاقة متينة. ومن الشخصيات مثل "أم النذور"، وكذلك يُبرز منيف دور المرأة مقارنة مع الرجل المحافظة على التقاليد وسط العالم المادي والروحي، مما يعكس تعقيدات دورها فكرياً في المجتمع التقليدي.

ومن هنا يذكر الكاتب في النص الجانب الديني على لسان أم سامح (على الإنسان أن يكون صالحاً، أن يصلي ويزكي، وأن لا يقوم بأي عمل يحرمه الله تعالى!). وتؤدي المرأة في رواية "أم النذور" للكاتب عبد الرحمن منيف دوراً محورياً في تسليط الضوء على التحديات الاجتماعية والدينية والثقافية في المجتمع التقليدي. ونلاحظ أن الروائي منيف حاول أن يجسد البعد الديني في هذا النص الروائي وعلاقته مع الشخصيات حينما قال على لسان شخصيته الروائية (أم سامح) ودورها في توعية ابنها قائلة له: على الإنسان المسلم القيام بأداء الصلوات وتأدية الزكاة والخضوع لما أمره الله به من الفرائض والتخلي عما نهى عنه من الفواحش والمنكر. وقد ذكرت شخصية (أم سامح) لابنها سامح وهي تردّ على أسئلته وتردّ عليه مؤكدة أن

الرجل السكران، مثل شخصية (سالم اليماني) فاسد الأخلاق لا يعبد ربه ولا يصلي ولا يصوم، بقولها: على الإنسان أن يكون صالحاً، أن يصلي ويصوم ويزكي ولا يقوم بعمل يحرمه الله. (منيف: 2005: 201) إلا أن رأي سامح تجاه (سالم اليماني) أنه لا يؤذي الناس حتى لو يحمل تلك الصفات كما جاء في الحوار الذي دار مع أمه، وكذلك ذكر الكاتب جوانب أخرى من المسائل الدينية على لسان الراوي: (إن الله هو الذي خلق كل شيء: الجنة والنار، الإنس والجان، العذاب والحساب، الله هو الذي يخلق، ولا أحد يخلق الله) (منيف، 2005: 202) صوّر الكاتب هنا شخصية (سامح) باسترجاع ما دار بينه وبين أمه من حوار وما أجابته عن أسئلته. وكذلك برز دور المرأة إذ نجد أن الأم تحاول إبلاغ ابنها أو تعلمه مهما كان الأمر صغيراً أو كبيراً بأن الله سبحانه قادر على كل شيء وهو خالق كل شيء وليس مخلوقاً.

وتطرقت دراستنا للمرأة وحضورها في الرواية وممارسة دورها بشكل ملحوظ وذلك بمعالجة بعض قضايا المجتمع بمختلف جوانبها منها شخصية (الحاجة نعيمة) في الفصل السادس عشر من الرواية تظهر عدة شخصيات ويمرر دور النسوة وعلاقتهم ومن هذه الشخصيات (أم محمد) التي نصحت أم (سامح) بأن تذهب به إلى شخصية (الحاجة نعيمة) لتقرأ عليه وتحضر الحجابات الورقية، وغيرهن من النسوة، فتبرز العلاقة بين الشخصيات علاقة الجار بجاره وعلاقة المرأة بأخرى علاقة اجتماعية، تربطهن علاقة عادات وتقاليد، فبرز الروائيون بموقفهم وأفكارهم في أعمالهم الروائية. وفي رواية "أم النذور" ذكر الكاتب منيف علاقة الشخصيات بالمعتقدات الدينية الشائعة في مجتمعه ومخالفة تعاليم الإسلام، وورد كثير من القصص التي كان دور المرأة حاضراً فيها وكان قوياً

في عمله الإبداعي، مقارنةً بعنوان الرواية "أم النذور" ذكر الروائي في نصوص الرواية علاقته بها في وصف الشجرة ("تشبه عروس الغجر، بالزينة المضطربة المفرطة التي تملأها) (منيف، 2005: 12).

الخاتمة:

أما في الحياة الاجتماعية فتعدّ المرأة جزءاً لا يتجزأ بأيّ حالٍ من الأحوال فضلاً عن إنّها تعدّ المكون الرئيس في المجتمعات بل تتعدّى ذلك لتكون الأهم من بين كلّ المكونات الاجتماعية وعلاقاتها وقد شغلت المرأة في الرواية أدوار كبيرة وحضور قوي لا تقل عن الرجل، وقد تشكلت المرأة وهي الأكثر تواجداً في خطابات وكذلك المرأة الأم والحبّية، والمرأة الحلم، والرمز، والمرأة الفاضلة. وكذلك علاقتها في تربية الأبناء وتقويمهم في ذلك المجتمع، وممارستها للسلطة في البيت والخارج، وشغلت رواية "أم النذور" في ذلك وأصبح العنوان هو الرمز والداو والمدلول عليه وكذلك تطرقت إلى "قضايا موضوعية ودينية اجتماعية"، ولهذا نقول إنّ الرواية في كلّ عصرٍ من جوانبها الاجتماعية تحمل قضايا المجتمع ومظاهره واهتماماته المختلفة، والمرأة هي العنصر المهم في زمانها كما شغلت الرواية (المرأة) والتي تستمر إلى نهايتها بأحداث زمانية ومكانية وتحمل الرجل ومسؤوليته وهمومه ومشكلاته من جميع جوانبه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- المحادين، عدنان محمد (2006). تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف (أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن).

- القشعري، محمد. (2013). ترحال الطائر النبيل (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكنونة الأدبية.

- كانيادا، لويس (2009). ضد الزمن المتسرب (فيصل الدراج وآخرون، محررون، الطبعة الأولى). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- منيف، عبد الرحمن (2005). أم النذور (الطبعة الأولى). المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع.

- سفيان، نور سفيرة أحمد، والقضاة، محمد أحمد (2017). قضايا موضوعية في "أم النذور" للروائي عبد الرحمن منيف: دراسة تحليلية نقدية. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، 8 (1).

- أحمد، محمد (2020). الرمز والمعنى في الدراسات السوسولوجية. مجلة المعهد العلمي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات - جامعة قفصة، 9 (34)، شوال 1441هـ/حزيران 2020م.

- الزيتوني، د. لطيف (2002). معجم المصطلحات في نقد الرواية (الطبعة الأولى). بيروت: دار النهار للنشر، مكتبة لبنان ناشرون.

- طالب، عزيزة. (2017). ثنائية الأرض والإنسان في روايات عبد الرحمن منيف (رسالة ماجستير، إشراف: د. أروى محمد أحمد ربيع، جامعة جرش).

- سواعد، محمد يوسف (2010). المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة: مصر أنموذجاً (الطبعة الأولى). عمان: دار الزهران للنشر والتوزيع.

- جبرا، جبرا إبراهيم ومنيف، عبد الرحمن (1992). عالم بلا خرائط (الطبعة الثانية). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- عبد الجبار، محمد رشدي (2010). النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية: دراسة نقدية تحليلية (بإشراف أ. د. عادل الأسطة).

- إبراهيم، أنيس، وآخرون (دون تاريخ). المعجم الوسيط (الطبعة الثانية، الجزء الأول). طهران: انتشارات ناصر خسرو.

- مريم، طابین وجميلة، بو عكاز (2018). دور المرأة ومكانتها في الحضارات القديمة وأدوات الزينة (بإشراف بروفيسور سلاطية عبد الملك).

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ.

- الطائي، سمير (2007). العنف السياسي في بلاد الرافدين (الطبعة الأولى). عمان: دار دجلة.

- مجموعة الكتاب الروائيين النسويات. (دون تاريخ). دراسة دور المرأة (مجموعة روايات). [مكان النشر ودار النشر غير محددين].

- نبيه، قاسم (2005). الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف (رسالة دكتوراه، الطبعة الأولى). دار الهدى للطباعة والنشر.

- كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء. (دون تاريخ). العلاقات

بين الشخصيات في النص السردی. <https://cohe.uokerbala.edu.iq/wp>

- طه، فرح عبد القادر، وآخرون. (دون تاريخ). معجم علم النفس والتحليل النفسي (الطبعة الأولى). بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

- الطيب، نجلاء (2020). الأنثى في الرواية العربية الحديثة: تمثلات ودلالات. مجلة الآداب واللغات، جامعة باتنة، الجزائر.

- بركات، هدى (2015). المرأة في الرواية العربية: بين التهميش والتعبير عن الذات. مجلة الفكر المعاصر، عدد خاص عن قضايا المرأة، بيروت.

- Goffman, E. (2008). Les rites d'interaction. Les Éditions de Minuit. (ترجمة أو تعليق: البشير العربي. أنثروبولوجيا التراث). تونس: المغربية للطباعة والنشر والإشهار.